

القدس والتاريخ

د. سعيد عبدالله البيشاوي
أستاذ مشارك في كلية العلوم التربوية

تركز هذه الدراسة على قدوم الفرنجة الصليبيين إلى بيت المقدس ومحاصرتهم لها، كما أنها تشير إلى عملية المقاومة الإسلامية للمحاصرين، و فضلا عن ذلك فإنها تتحدث عن المجازر التي ارتكبتها الفرنجة عند اقتحامهم للمدينة بحيث لم يبق أحد من سكانها المسلمين على قيد الحياة.

وتوضح الدراسة كيف أن الفرنجة اضفوا على المدينة الطابع الغربي، اذ قاموا بتوطين عناصر غربية فيها، كما بسطوا سيطرتهم على جميع الأماكن الدينية المسيحية، وطرودوا المسيحيين الشرقيين العاملين في الكنائس والاديرة ووضعا مكانهم رجال دين لاتين من الذين قدموا مع الحملة الفرنجية الأولى.

وقام الفرنجة باحاطة المدينة المقدسة بحزام من المستوطنات اللاتينية التي لعبت دورا هاما من الناحية الدفاعية والاقتصادية. وقد بقيت المدينة المقدسة تزرح تحت السيطرة الفرنجية مدة ثمانية وثمانين عاما حتى حررها السلطان صلاح الدين الأيوبي بالأمان عام 583هـ / 1187م، وسمح للفرنجة بالخروج من المدينة المقدسة مقابل دفع مبلغ من المال. كذلك تحدثت الدراسة عن تسليم بيت المقدس للفرنجة بمقتضى معاهدة يافا التي وقعت عام 626هـ / 1228م بين السلطان الكامل محمد الأيوبي والامبراطور فردريك الثاني امبراطور المانيا.

عندما اقتربت القوات الفرنجية الصليبية من فلسطين¹، هجر معظم سكان المدن غير المحصنة مدنهم واتجهوا للإقامة بالمدن المحاطة بالأسوار والقلاع، لعلها تحميهم، وتسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم، والتصدي للقوات الفرنجية الصليبية

¹ تشير الوثائق الفرنجية الصليبية إلى أن القوات الفرنجية اقتربت من الحدود الفلسطينية في اوانل رجب سنة 492هـ / الثلث الأخير من شهر مايو (أيار)، 1099م ففي العشرين من مايو 1099 عبروا منطقة صيدا، وفي الثالث والعشرين من مايو (أيار) عبروا صور، ووصلوا في اليوم التالي إلى منطقة عكا.

Cf. Hagenmer, H. Chronologie de La Premiere Croisade, 1094 – 1100, pp. 374 – 377

الغازية²، وقد امتلأت مدينة القدس بأعداد كبيرة من سكان المدن، والحصون، والريف المجاور، الذين تدفقوا على المدينة، هرباً من وجه القوات الغازية، وبحثاً عن السلامة لأنفسهم، وللمساعدة أيضاً في الدفاع عن المدينة المقدسة ضد الخطر الذي يتهدها، وقد احضر هؤلاء تعزيزات من الرجال وكميات من الأطعمة³.

ومهما يكن من أمر، فقد قرر من بقي من سكان فلسطين أن يقاوموا الفرنجة الصليبيين، ويتصدوا لهم بكافة الإمكانيات المتاحة لديهم، ومن قبيل ذلك ما أتخذه سكان مدينة القدس من تدابير وإجراءات للدفاع عن مدينتهم قبيل وصول الفرنجة، وقد زودتنا المصادر المعاصرة بمعلومات تفيد أنهم قاموا بطمر وإفساد ما يقع حول المدينة من مياه "الينابيع والعيون" لمنع العدو من استخدامها والانتفاع بها⁴، كما قاموا بإخفاء الماشية والقطعان في الكهوف والمغاور⁵، وفضلاً عن ذلك قام افتخار الدولة⁶ حاكم المدينة

² فعلى سبيل المثال ذكرت المصادر المعاصرة أن سكان مدينة الرملة غادروا مدينتهم مع زوجاتهم وأطفالهم وجميع أفراد أسرهم قبيل وصول الفرنجة الصليبيين بليلة واحدة، أي يوم الخميس الموافق الحادي عشر من رجب سنة 492هـ /الثاني من شهر يونية (حزيران) عام 1099م حتى باتت المدينة خالية من السكان. وقد جرى دخول الفرنجة للمدينة في اليوم التالي أي يوم الجمعة الثالث من يونية (حزيران) عام 1099م.

Cf. Fulcher of Chartres, AHistory of the expedition to Jerusalem, P.115 - William of Tyre, AHistory of Deeds Done Beyond the Sea, Vol.1, PP. 332-333, Cf.also:Hagenmer, H. Chronologie P.382

أنظر أيضاً: مجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص 114

³ William of Tyre, Vol.1, pp. 349, 354

⁴ مجهول، اعمال الفرنجة، ص 116، أنظر أيضاً: أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص 74.

Cf. also. William of Tyre, op.cit, Vol. 1, P.348

⁵ مجهول، أعمال الفرنجة، ص 116- بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص 315

Cf. also: Raimond d'Aguilers, Historia Francorum qui Ceperunt Iherusalem, PP.292-293.

الفاطمي بتقوية تحصينات المدينة، والتأكد من سلامة أسوارها، معتمداً على حامية كبيرة من الجند المصريين والسودان، المسلحين تسليحاً جيداً، وكذلك على سكان المدينة القدس، ومن وفد إلى المدينة من سكان المدن والقرى المجاورة، كما قام بطرد المسيحيين من المدينة⁷.

وعندما وصل الفرنجة الصليبيون بيت المقدس في الخامس عشر من رجب عام 492 هـ / وفق يوم الثلاثاء السابع من شهر حزيران (يونيه) 1099م شرعوا بحصار مدينة القدس التي كان سكانها على أهبة الاستعداد للدفاع عنها بكل قوة وشجاعة، وقد استفادوا من جميع وسائل المقاومة، وعملوا على تصنيع الآلات الحربية داخل المدينة، حيث كان يوجد مجموعة كبيرة من العمال المهرة، فضلاً عن المواد الخام اللازمة لصناعة الآلات مثل: الدعامات الخشبية، وكميات من الحديد والنحاس، وجميع ما يلزم لهذا الأمر⁸. وبعد أن صنع المسلمون الآلات الحربية، بدأوا يقذفون كتلاً مشتعلة غمست في الزيت والنشم على الجنود الفرنجة وأبراجهم التي صنعوها من أجل الوصول إلى الأسوار، والدخول إلى المدينة المقدسة⁹.

⁶ افتخار الدولة الفاطمي: تولى حكم مدينة بيت المقدس بعد استيلاء الفاطميين عليها في يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من رمضان سنة 490 هـ / السادس والعشرين من أغسطس (آب) 1098م، وبقي افتخار الدولة والياً على بيت المقدس من قبل الأفضل بن بدر الجمالي (وزير الخليفة الفاطمي) حتى قدوم الفرنجة وحصارهم للمدينة يوم الثلاثاء الموافق السادس عشر من رجب سنة 492 هـ / السابع من يوليو (حزيران) 1099م. أنظر: ابن الاثير الكامل في التاريخ، جـ10، ص283، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص97.

⁷ Raimond d'Aguilers, PP.292-293-.William of Tyre, vol.1,PP.333-334

أنظر أيضاً: أمين معلوف، المرجع السابق، ص74

⁸ William of Tyre, vol.1,P. 354

⁹ Fulcher of Chartres, P.120

أمر افتخار الدولة جنوده باستخدام النار اليونانية، وهي خليط من النفط والكبريت يصب في جرار ويقذف به مشتعلاً فوق رؤوس المحاصرين وهذا الخليط كان يحدث حرائق من العسير اخمادها أنظر: أمين معلوف، المرجع السابق، ص76

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعات منظمة من المسلمين المحاصرين داخل مدينة القدس كانت تخترق الحصار، وتخرج من بعض نواحي المدينة التي لم تحكم القوات الفرنجية الصليبية حصارها، وتعمل خلف خطوط الغزاة عن طريق مهاجمة جنودهم الذين كانوا يتجولون في المناطق الريفية المجاورة للمدينة المقدسة، بحثاً عن الطعام والعلف الضروري للخيل، وكانت هجمات هذه المجموعات ناجحة إلى أبعد الحدود، إذ أنها كانت تسفر عن قتل وجرح العديد من جنود وفرسان الفرنجة، ومن كان يهرب فإن الحظ كان يحالفه بالنجاة من الوقوع بأيدي المسلمين¹⁰. فضلاً عن ذلك كانت بعض هذه المجموعات تكمن بالقرب من الينابيع والآبار، وتهاجم من تجده من الفرنجة¹¹.

وسعى المسلمون إلى معرفة ما يدور داخل المعسكر الفرنجي الصليبي، من أجل التعرف على أسرارهم وخططهم والعمل على إحباطها، وفي سبيل ذلك كانوا يرسلون العيون والطلائع إلى المعسكر الفرنجي، ويذكر المؤرخ الفرنجي الصليبي المعاصر (بطرس توديبود)¹²: أن المدافعين عن مدينة القدس أرسلوا بمسلم ليتجسس على عملية بناء المسيحيين للأبراج. ولكن عندما شاهد السريان واليونانيون هذا المسلم أشاروا للفرنجة الصليبيين قائلين "Ma ta christo caco sarrzin"، وهذه الجملة تعني بلغتنا "بحق المسيح، هذا مسلم خسيس". وبعد أن قبض الفرنجة الصليبيون على المسلم، قاموا

¹⁰ William of Tyre, vol.1, P.353

¹¹ بطرس توديبود: المصدر السابق، ص315

¹² بطرس توديبود: هو مؤرخ فرنسي ينتمي لمقاطعة بواتييه، عاصر قيام الحروب الفرنجية الصليبية على الشرق، وشارك في أحداثها، وقد عمل تحت قيادة مجموعة من القادة الفرنجة نذكر منهم ستيفن كونت بلوا وبوهيمند النورماندي وشارك بطرس في حصار انطاكية، وفقد أحد اخواته أثناء محاولة الفرنجة للاستيلاء على المدينة وبيدأ المؤرخ كتابه من دعوة البابا أربان الثاني لسكان أوروبا للاشتراك في الحملة الصليبية الأولى من خلال الخطبة النارية التي ألقاها في مؤتمر كليرمون بتاريخ 12/11/1095م وينتهي المؤلف تاريخه بالحديث عن معركة عسقلان (14 رمضان سنة 493 هـ/12 اغسطس 1099م) أنظر مقدمة الترجمة العربية لكتاب بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص27-30

باستجوابه، عن طريق أحد المترجمين الذي سأله عن سبب قدومه للمعسكر الفرنجي. ورد الأسير قائلاً: "أرسلني المسلمون إلى هنا، لاكتشف ما هي مخترعاتكم". وبعد أن أدرك الفرنجة الصليبيون طبيعة المهمة التي حضر الرجل المسلم من أجلها إلى معسكرهم، حاكموه، وأخذوه مكتوف الأيدي والقدمين، ووضعوه في قاع آلة حربية تسمى بالمقذاف*. وظنوا أنه بإمكانهم أن يدفعوا به بكل قوتهم إلى داخل بيت المقدس. ووجدوا أن ذلك مستحيلاً. لأنه إن قذف بقوة هضمت عظامه قبل أن يصل إلى الأسوار، وحلّت أوصاله¹³.

ومن الجوانب الهامة التي تشير إلى المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين، ما ذكره المؤرخون الفرنجة من أن السكان الفلسطينيين كانوا يخترقون الحصار، ويدخلون إلى بيت المقدس من خلال الأقسام (النواحي) التي لم تكن محاصرة، وكانوا ينضمون مباشرة إلى المدافعين عن المدينة ضد الفرنجة¹⁴. ومثل هذه الأعمال كانت تسهم دون شك في تعزيز صمود سكان المدينة والقوات المدافعة عنها. غير أن الفرنجة الصليبيين تنبهوا إلى أن المدينة كانت ضعيفة التحصين عند الباب الشمالي المعروف باسم باب القديس ستيفن¹⁵ وحتى البرج الواقع عند الزاوية، إذ يشرف على

* المقذاف: آلة تستخدم لقذف الحجارة والنفط والزيوت المغلي، ذكرها المؤرخ الفرنجي بهذا الاسم ويبدو أنها المنجنيق التي كانت تستخدم في العصور الوسطى
¹³ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص 317. ذكر مترجم كتاب الرحلة إلى بيت المقدس أن بطرس توديبود هو المؤرخ الوحيد الذي أتى على ذكر قصة الجاسوس المسلم كما يزعم. ويضيف أنه من الطبيعي أن يكون لكل من الطرفين المتصارعين عيون وجواسيس على الجانب الآخر. أنظر: كتاب تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص 329، هامش 21

¹⁴ William of Tyre, Vol.1, P. 353

¹⁵ باب القديس ستيفن: يعرف باسم باب العمود أو باب نابلس، ويقال ان القديس ستيفن تعرض للرجم خارج هذا الباب. أما عن سبب تسميته بباب العمود فيذكر ان الرومان اقاموا عمودا في الميدان الواقع خلف باب دمشق. وكان الرومان يستخدمون هذا العمود كنقطة يقومون فيها بقياس المسافات من اورشليم الى المدن الاخرى في المنطقة، وقد اقيم هذا العمود في القرن السادس الميلادي
انظر: بورشاد من دير جبل صهيون، وصف الارض المقدسة، ص 145-146، ص 354

وادي النار، وفضلاً عن ذلك كانت المدينة ضعيفة التحصين من ذلك البرج إلى الزاوية المقابلة، فوق منحدر الوادي نفسه، ومن هنالك إلى الباب الجنوبي المعروف باسم قمة صهيون¹⁶.

وعلى الرغم من كل الإجراءات والتدابير، والأعمال الفدائية التي نفذها المدافعون عن المدينة المقدسة، وسكان الريف المجاور، فإن المدينة سقطت بيد الفرنجة في يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من شعبان عام 492هـ/الخامس عشر من شهر تموز عام 1099م¹⁷ وقد اقتترف الفرنجة الصليبيون مذبحه رهيبه مروعة ذهب ضحيتها سكان المدينة، ومن حضر للدفاع عنها من المناطق المجاورة¹⁸، وأشار ابن الأثير (ت 630هـ/1232م) إلى ذلك بقوله: "وركب الناس السيف، وليث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين"¹⁹ ولم يراع الفرنجة حرمة الأماكن المقدسة، إذ قتلوا ما يزيد على سبعين ألفاً من المسلمين في المسجد الأقصى، كان من بينهم عدد من الأئمة والعلماء والزهاد²⁰.

ويذكر المؤرخون الفرنجة المعاصرون ان عدد القتلى في ساحة المسجد الاقصى بلغ عشرة الاف قتيل²¹، ويضيف وليم الصوري William of Tyre إلى هذا العدد "القتلى الذين تناثرت جثثهم في كل شوارع المدينة وميادينها لم يكونوا اقل عددا مما ذكرناهم"²² ونعتقد أن الرواية الفرنجية الصليبية أقرب للصحة للاعتبارات الآتية: ان

¹⁶ William of Tyre , Vol.1, pp.349,360

¹⁷ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص137- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص283-

مؤلف مجهول، اعمال الفرنجة، ص117- بطرس توديبود: المصدر السابق، ص319

¹⁸ سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ص244

¹⁹ ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة

²⁰ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ط1، حيدر اباد الدكن 1958م، ص

108- ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة - ابن الراهب: تاريخ ابن الراهب، ص72

²¹ William of Tyre, Vol.1,p.372, Fulcher of Chartres, p.122

²² Ibid, loc,cit

مساحة المدينة كانت حوالي كيلو مترا مربعا، وكان يقطنها في منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي حوالي عشرين الف نسمة، حسب ما ذكره الرحالة الفارسي ناصر خسرو²³. ولكن هذا العدد تراجع بعد ذلك بسبب الحروب الكثيرة التي عانت منها المدينة، فضلا عن عدم الاستقرار التي شهدته خلال الربع الاخير من القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي²⁴؛ بسبب الحصار الذي تعرضت له اكثر من مرة سواء من الدولة السلجوقية او الفاطمية، فعلى سبيل المثال دام الحصار الذي فرضته القوات الفاطمية على بيت المقدس عام 489هـ /1097م نحو اربعين يوما، فلم تستسلم القوات السلجوقية التي كانت داخل بيت المقدس الا بعد ان ضربت المدينة بأكثر من اربعين منجنيقا دمرت جزءا من سورها²⁵.

التدابير التي اتخذها الفرنجة لتحويل بيت المقدس إلى مستوطنة لاتينية:

ومهما يكن من أمر، فقد أسهمت القوة العسكرية الفرنجية الصليبية في قتل جميع سكان بيت المقدس، فضلا عن السيطرة الكاملة على المدينة المقدسة، ولعل ذلك فتح الباب على مصراعيه أمام المستوطنين الفرنجة للاستقرار والتملك في مدينة بيت المقدس وفي ذلك يقول المؤرخ فوشيه الشارترى: "وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخلوا (الفرنجة) بيوت السكان، واستولوا على كل ما وجدوه بها، وتم هذا بطريقة جعلت كل من يسبق إلى الدخول، فقيرا كان أم غنيا، يستولي على البيت ولا يجد من ينازعه من الفرنج

²³ ناصر خسرو، سفرنامه، ص 56

²⁴ اثار ابن الاثير في احداث سنة 469هـ إلى أن اتسز بن أوق الخوارزمي (الاقسيس) حضر إلى بيت المقدس " فلما قارب البلد تحصن اهله فيه وسبوه، فقاتلهم، ففتح البلد عنوة ونهبه، وقتل من اهله فأكثر حتى قتل من التجأ إلى المسجد الاقصى، وكفّ عمّن كان عند الصخره وحدها. انظر: الكامل

في التاريخ ج10، ص 103

²⁵ ابن الاثير: المصدر السابق، ج 10، ص 282-283، يذكر ابو الفداء ان عساكر الخليفة الفاطمي " استولوا على القدس بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وبقيت بيت المقدس بيد المصريين حتى قصدها الفرنجة الصليبيون وحاصروها سنة 492هـ/1099م. انظر: المختصر في اخبار البشر، ج2، ص299.

الآخرين، وكان له أن يحتل المنزل، أو القصر، ويمتلكه بكل ما فيه، كما لو كان ملكية خاصة له، وهكذا انفقوا جميعاً على هذا النمط من حقوق الملكية، وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أغنياء²⁶.

وثمة سؤال يطرح نفسه فيما إذا كان عدد الفرنجة الذين استقروا في بيت المقدس كافياً لملء كافة أحيائها ومنازلها وشوارعها؟ يبدو من سير الأحداث، وما ذكره المؤرخون الفرنجة المعاصرون أن العدد لم يكن كافياً، فالمؤرخ الفرنجي وليم الصوري يقول: "وكان سكان قطرنا قليلي العدد، قلة ملحوظة، ويعيشون في فقر مدقع، حيث إنهم كانوا أقل من أن يشغلوا شارعاً من شوارعها"²⁷. وبطبيعة الأمر فإن هذا العدد القليل من الفرنجة لم يكن كافياً لحراسة مداخل المدينة والدفاع عن أسوارها وأبراجها ضد أية غارة إسلامية تباغتتها على غير توقع منها"²⁸.

وليس من شك في أن عملية الاستيطان الفرنجي الصليبي في بيت المقدس قد واجهت منذ البداية مجموعة من المصاعب والمشاكل التي كانت تهدد العملية الاستيطانية جميعها. وتعتبر مشكلة نقص العنصر البشري الفرنجي من أكثر التحديات التي واجهت القادة الفرنجة في الأراضي المقدسة؛ لأن الاستيطان كان بحاجة إلى الأمن والدفاع، وهذا لم يكن ممكناً في ظل النقص الحاد في عدد السكان الفرنجة الذين استوطنوا في بيت المقدس وغيرها من المناطق الأخرى.

²⁶ Fulcher of Chartres, p.123

²⁷ William of Tyre, Vol.1, p.507.

²⁸ Ibid., Loc.cit

وقد أولى الملك بلدوين الأول Baldwin²⁹ مشكلة النقص الحاد في عدد سكان بيت المقدس الفرنجة جل اهتمامه، وأخذ يفكر في التغلب عليها بكافة الطرق والأساليب، وتشاور في هذا الصدد مع عدد من الأمراء والقادة في مملكته، ويبدو أنهم توصلوا إلى رأي يقضي بالسماح للمسيحيين الشرقيين بالعودة إلى بيوتهم في المدينة بعد استيلاء الفرنجة عليها؛ بسبب خلوها من السكان، إلا أن عودتهم لم تسهم في حل المشكلة، إذ استمرت المدينة تعاني من نقص حاد في عدد السكان. ولما كان هذا الوضع يقلق الملك بلدوين الأول، الذي أخذ يبحث في كافة الطرق والأساليب التي تمكنه من جلب سكان مسيحيين للإقامة في المدينة المقدسة، واستمر في بحثه حتى علم أن "هناك كثيراً من المسيحيين الشرقيين يعيشون في القرى الواقعة فيما وراء الأردن"³⁰. وقد أرسل الملك بلدوين في طلبهم واعداً إياهم بحياة أحسن من حياتهم التي يعيشونها الآن، ثم ما لبثت أن طابت نفسه بمن توافد عليه منهم، وقد جاؤوه بحریمهم وأولادهم ومواشيهم وقطعانهم وكل ما ملكته أيديهم³¹. "وكان قدوم المسيحيين الشرقيين من منطقة ما وراء الأردن - من نصارى الكرك والشوبك - للإقامة في بيت المقدس؛ بسبب الإغراءات التي وعدهم بها الملك الفرنجي، وعند حضورهم "منحهم الملك نواحي المدينة التي كانت أكثر من غيرها في مسيس الحاجة لمساعدتهم فعمرت الدور بهم"³². وقد أدرك المؤرخ الفرنجي فوشيه الشارترى أهمية العنصر البشري في عملية الاستيطان، واعتبره ركيزه رئيسة لعمليات التوطين في الأراضي المقدسة، وقد عبر عن ذلك بقوله: "وفي بداية حكم

²⁹ الملك بلدوين الأول: كان رجلاً عملاقاً، فارح الطول، كما أنه كان خبيراً باستخدام السلاح، وبارعاً في ركوب الخيل، وقد اختير ليكون خليفة لأخيه جودفري في حكم الكيان الفرنجي الناشئ في الأرض المقدسة، وتم تتويجه ملكاً في كنيسة المهد ببيت لحم في يوم عيد الميلاد سنة 1100م/العشرين من صفر 492هـ، حيث قام البطريريك دايمبرت البيزي بوضع التاج على رأسه.

Cf. Fulcher of Chartres., pp. 136-137, 148-Albert d'Aix, pp.536-537-William of Tyre., Vol.1, pp.386-387,416-Monitium in Balduini III, Historia Nicenae vel Antiochenae Prologum, p. 177.

³⁰ William of Tyre, Vol.1,P.507.

³¹ Ibid, Vol.1, pp. 507-508

³² Ibid, Vol, 1, P. 508.

أنظر أيضاً: محسن يوسف، الخارطة الدينية لسكان فلسطين عشية الاحتلال الفرنجي، ص 39.

بلدوين كان يمتلك مدناً قليلة ويحكم شعباً صغيراً...³³ وكرر القول نفسه في مكان آخر من كتابه، "ولهذا السبب بقيت أرض بيت المقدس فقيرة في السكان، ولم يكن هناك من الناس ما يكفي للدفاع عنها ضد المسلمين، إذا فكروا في الهجوم علينا"³⁴.

ومهما يكن من أمر، فقد أدى استيلاء الفرنجة الصليبيين على بيت المقدس إلى تغيير البنى الاجتماعية والإدارية في المدينة، حيث حلت محلها بنى جديدة فرضها الواقع الجديد للمدينة المقدسة. فعلى سبيل المثال كانت الجماعات البشرية التي استوطنت في بيت المقدس تنتمي لأصول اجتماعية وثقافية مختلفة؛ الأمر الذي نتج عنه ظهور بنى جديدة تتناسب وحياة الجماعات البشرية الجديدة، التي ترجع في معظمها إلى أصول فلاحية أوروبية، ولذلك فقد كانوا يفتقرون للمؤهلات الفنية في المهن والحرف التي كانت تشكل الأساس في اقتصاد المدينة³⁵.

ويبدو أن استقرار الفلاحين الغربيين في بيت المقدس بصورة دائمة قد دفعهم إلى التكيف مع أنماط الحياة الاقتصادية في المدينة ليتمكنوا من كسب معيشتهم، حيث بدأت تظهر طبقة جديدة من السكان من غير النبلاء والأشراف والفرسان أصحاب الاقطاعات، وهي الطبقة الوسطى التي أصبح لها دور كبير في حياة مدينة بيت المقدس الاقتصادية، وغير ذلك من الأعمال كالمشاركة في الدفاع عنها في حال تعرضها لهجوم خارجي³⁶.

³³ Fulcher of Chartres, op.cit., p.148

أنظر أيضاً: قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص131. يقول المؤرخ كلود كاهن: من الصعب معرفة فيما إذا كان الاستيطان اللاتيني في الشرق قد تمكن من النمو ببطء حتى لو كان هناك في الفترات الأولى ما يكفي من القادمين الجدد لتعويض الوفيات المبكرة الناتجة عن الحرب. أنظر: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص136.

³⁴ Fulcher of Charters,p.149

أنظر، أيضاً قاسم عبده قاسم، المرجع ktsi، ص131

³⁵ مصطفى الحيارى: القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، ص61.

³⁶ المرجع نفسه، ص62.

يتضح مما سبق أن فكرة الاستيطان في بيت المقدس، وكافة الأراضي المقدسة قد برزت إلى حيز التنفيذ بعد استيلاء الفرنجة الصليبيين على بعض المدن والقرى الفلسطينية بفترة وجيزة، وقد جرى تنفيذها على مختلف المستويات سواء من قبل ملوك بيت المقدس أم الأمراء الاقطاعيين أم رجال الدين اللاتين أم الجاليات التجارية الايطالية، أم جماعات الفرسان الرهبان (الاستبارية والداوية والتوتون)³⁷ فضلاً عن ذلك فقد بدا واضحاً أن غالبية المستوطنين الأوروبيين في المدينة المقدسة كانوا من طبقة الفلاحين.

وتجدر الإشارة إلى أن النظام الاقطاعي الأوروبي الذي نقله الفرنجة الصليبيون إلى الأراضي المقدسة، قد أسهم اسهاماً كبيراً في زيادة الرقعة الاستيطانية حول بيت المقدس وغيرها من المدن الفلسطينية، ويتضح ذلك من خلال المنحة التي قدمها الأمير جودفري البويوني Godfrey of Bouillon³⁸ لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، إذا قام بمنحهم أكثر من عشرين قرية في حدود بيت المقدس³⁹. وقد استغل رجال الدين

³⁷ سعيد البيشاوي: دراسة مقارنة بين الاستيطان الصليبي والصهيوني، ص 95.

³⁸ جودفري البويوني Goodfrey of Bouillon: كان يعرف بدوق اللورين السفلى، وقد ولد في شهر يولييه سنة 1058م، وهو ابن الكونت يوستاش. وكانت والدته إدا Ida تتمتع بشخصية بارزة، وتنتمي لعائلة عريقة النسب في الغرب الأوروبي، وكان دوق اللورين بدون أولاد، فتنبى ابن اخته جودفري ليكون ابناً له، وفي حالة وفاته فإن جودفري يتولى عرش الدوقية، وكان جودفري أحد قادة الحملة الفرنجية الصليبية الأولى، وشارك في الاستيلاء على بيت المقدس عام 1099م/492هـ، وحكم المنطقة التي خضعت للفرنجة تحت اسم حامي القبر المقدس، ورفض أن يتوج ملكاً في مكان لبس فيه السيد المسيح (عليه السلام) تاجاً من الشوك.

Cf. Fulcher of chartres., p. 124, William of Tyre, Vol.I, pp.385-386, 392, Ernoul, La Chronique d'Ernoul et de Bernard Le Tresorier, P.5, Cf. Also: Besant, W., and Palmer, E.H. Jerusalem: The city of Herod and Saladin, p.213, Riley Smith, The Title of Goodfrey of Bouillon, , PP. 85-86.

³⁹ Genevieve, B.B., Le Cartulaire du Chapter du Saint-Sepulcre de Jerusalem, Paris 1984, Acte No. 26, pp. 86-88, Beugnot, L., Chartes dans Les Assises de Jerusalem, tome 2, Paris 1843, charte No. 4, P. 483, Migne, Cartulaire dans Patrologie Latine, tomus 155, Doc, No. 29, Cols 1121-1122, de Roziere, E., Cartulaire de L'eglise du saint-Sepulcre du Jerusalem, Paris 1849, Doc. No. 29,

اللاتين هذه المنحة بإنشاء مجموعة من المستوطنات حول المدينة المقدسة.

وقد اهتم الفرنجة الصليبيون بإنشاء المنازل، والمخازن، والطواحين في المستوطنات التي أسسوها في الأراضي المقدسة، وهذا يعني أنهم حرصوا على توفير جميع متطلبات الحياة للمستوطنين؛ بما يخدم مصالح الطرفين، وكانت عمليات جذب السكان اللاتين للإقامة في المستوطنات الخاضعة لكنيسة القيامة نشطة، وذلك عن طريق تقديم الكثير من التسهيلات، والسماح لهم بإدارة أراضيهم بأنفسهم، وإقامة المنازل المعفاة من دفع الإيجارات، على أن يقوم المستوطنون بدفع جزء من المحصول الذي تنتجه الأراضي التي حصلوا عليها، ويتم تحديد هذا الجزء طبقاً لاتفاق يجري توقيعه بين الطرفين، ويدخل تحت بند حق كنيسة القيامة أو السيد الإقطاعي في قسم من المحصول الذي تنتجه الأرض⁴⁰ Charnpart. وتلقي إحدى الوثائق الفرنجية الصليبية المؤرخة سنة 1160م/555هـ الضوء على الطرق التي كان يتبعها رجال الدين اللاتين

pp. 54-55, Rohricht, R., Regesta Regni Hierosolimitani, Innsbruck 1893, Doc. No. 74, pp. 16-17.

أنظر، أيضاً: سعيد البيشاوي: المكتبات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ط1، الاسكندرية "دار المعرفة الجامعية" 1990م، ص163-165.

قام جودفري البويوني بمنح كنيسة القيامة إحدى وعشرين قرية في حدود بيت المقدس وهي: عين قينيا، (Ain Kanieh) Ain quine، والرام (AL-Ram) Aram، والبيرة (AL-(Birah) Birra) وكفر الديل (Kafar el-ddik) (كفر الديك)، وعين سينيا (Aine Siens) Ain Siniyah، وقلندية (Qalandiyah) Kalendie، وبيت سوريك (Beth Surik) (Beth Suric) هيلم Helmule، وعطارة بيريت (Athara beret)، وبيتونيا (Beituimen) (Bayt Uniya) وبيت فوتير (Beitfuteier)، وعرونية (Arnutie) Arnutiyah، وصبة (Subahiet) Subiah، وهوبين Hubin، وبارميستا (Barimeta)، وبيت علام (Beite Lamus) (Bayt Alam) وزينو (Zenu)، وعورنيت (Urniet).

Cf. Genevieve, B.B., Doc. No. 26, pp.86-88, Beugnot, L., Charte No. 4., P. 483, Migne, 155, Doc. No. 29, cols 1121-1122, de Rozire, E., Doc. No. 29. pp. 54-55, Rohricht, R. Doc. No. 74, pp. 16-17

أنظر، أيضاً: سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية، ص 163-167

Praver , Crusader Institutions , p.133 ⁴⁰

في كنيسة القيامة من أجل تشجيع أهل الغرب الأوروبي على الإقامة في المستوطنات التابعة لهم، فقد أشارت الوثيقة إلى قيام نيقولا رئيس كنيسة القيامة بمنح بعض الكاريوكات، وكروم العنب الواقعة في مستوطنة راماتيس الجديدة إلى ثلاثة من المستوطنين اللاتين، فضلاً عن منحهم قطع من الأراضي لإقامة منازلهم عليها، وإلى جانب ذلك أعطاهم كروم عنب، وجزءاً كبيراً من أشجار الكرمة التي سبق أن أشرف على زراعتها بطرس رئيس كنيسة القيامة السابق في مستوطنة البيرة. وإلى جانب هذه المنح جميعها، سمح لهم باستخدام المخابز والطواحين وجميع الأشياء الأخرى في مستوطنة البيرة، ولكن ضمن شروط خاصة تم الاتفاق عليها بين الطرفين. ويلاحظ أن جميع هذه المنح والتسهيلات الخاصة من أجل استقطاب اللاتين وحثهم على الاستقرار في المستوطنات⁴¹.

يتضح من خلال المعلومات التي أوردتها الوثيقة سالفه الذكر عدة نقاط أهمها: الاهتمام بزراعة أشجار الكرمة والزيتون في الأراضي التابعة للمستوطنات، وقد بدأ هذا الأمر واضحاً من خلال قيام رئيس كنيسة القيامة بالإشراف على زراعة أشجار الكرمة وأشجار الزيتون في مستوطنة البيرة، وربما يرجع ذلك لما تدره هذه الأشجار من أرباح على الفرنجة الصليبيين، خاصة أن ثمار العنب تعتبر المادة الخام لصناعة النبيذ والدبس والخل، والملبن والزبيب⁴²، كذلك فإن ثمار الزيتون كانت المادة الخام لعملية استخراج زيت الزيتون الذي تقوم عليه صناعة الصابون⁴³.

⁴¹ قدم نيقولا رئيس كنيسة القيامة جميع المنح والتسهيلات سالفه الذكر إلى هيو اليافاوي Hugh de

Jaffa وجاي كاميلار Fuy Camelarus وجيرار اكبريلوس Girrariid Capereilius
Cf. Genevieve , Acte . no . 126, pp. 252-253, de Roziere , doc.no.136, pp.251-252, Migne , Tomus ,155 , doc. No . 136, Cols. 1226-1227.

⁴² كان سكان إحدى القرى القريبة من بيت لحم يزرعون أجود أنواع أشجار الكرمة، كما كانوا يهتمون بأشجار الكرمة المزروعة في أراضي القرى المجاورة. وقد اهتموا بتصنيع النبيذ الممتاز من محصول العنب الذي تدره أشجار الكرمة المزروعة في أراضيهم والأراضي المجاورة. أنظر: بورشارد من دير جبل صهيون: وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البشاوي، ط1، عمان "دار

ومن النقاط البارزة التي أوردتها الوثيقة ما يتعلق، بتنظيم أراضي مستوطنة راماتيس الجديدة، وتقسيمها إلى كاريوكات، وزراعة قسم منها بأشجار الكرمة، والسبل التي اتبعها رجال الدين اللاتين من أجل استقطاب المواطنين الأوروبيين، وحثهم على الإقامة في المستوطنات التي تم تأسيسها في الأراضي المقدسة، وذلك عن طريق منحهم الأراضي الزراعية، والسماح لهم بإقامة منازلهم على جزء منها، هذا إلى جانب السماح لهم باستعمال المخابز والطواحين التي تعود ملكيتها لكنيسة القيامة، وذلك ضمن شروط خاصة يتم الاتفاق عليها بين الطرفين.

وقد أوضحت الوثيقة، أيضاً، أن المستوطنين الأوروبيين كانوا يقومون بإنشاء منازلهم بأنفسهم، ولكن بعد الحصول على إذن مسبق من المشرفين على المستوطنات، وهذا يعني أن جزءاً من المنشآت في المستوطنات التي أقامها رجال الدين في محيط بيت المقدس كان يقع على عاتق المستوطنين، والجزء الآخر كان يقع على عاتق الذين يشرفون على بناء المستوطنات. ويبدو أن المنازل التي أسسها المستوطنون، كانت ملكاً وراثياً لهم، ولهذا فقد كان من حقهم تحويل ملكية منازلهم وأراضيهم إلى مواطنين آخرين.⁴⁴

نهاية الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس ومحيطها

الشروق" 1995م، ص1710، رحلة الحاج دانيال الروسي في الأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي وداود أبو هدية عمان 1992م، ص87. كان النبيذ الفلسطيني يلقي رواجاً كبيراً عند رجال الدين في الكنائس والأديرة اللاتينية، وعند المستوطنين الفرنجة في المدن.

Cf. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 133

⁴³ المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص180، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب، ص 87-88، بورشارد من جبل صهيون، المصدر السابق، ص171.

Cf. also: Benvenisti, M., op.cit, pp. 161, 257, 387..

⁴⁴ Genevieve, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253, de Roziere, Doc. No. 136, pp. 251-252, Migne, tomus 155, Doc. No. 136, cols. 1226-1227, Rohricht, R. Regesta, Doc. No. 346, p.90, cf. also: Prawer, J., Crusader Institutions, p. 133 .

بعد أن انتصر السلطان صلاح الدين الأيوبي في حطين العام 583هـ/1187م، وقامت قواته بفتح المدن الفلسطينية، توجه بنفسه صوب بيت المقدس، وعندما وصلها في منتصف رجب سنة 583هـ/العشرين من أيلول سنة 1187م، شرع يبحث عن مكان يقاتل الفرنجة منه، "فلم يجد عليه موضع قتال إلا من جهة الشمال، نحو باب العمود... فانتقل إلى هذه الناحية في العشرين من رجب ونزلها"، ونصب المجانيق من هذا الجانب⁴⁵ وبدأت قواته بمهاجمة الفرنجة الصليبيين، الأمر الذي دفعهم إلى التسليم، وطلب الصلح فوراً، فأجابهم السلطان صلاح الدين إلى ذلك، على أن يدفع كل رجل منهم عشرة دنانير والمرأة خمسة دنانير، والطفل دينارين، ومن عجز عن الدفع وقع أسيراً بيد المسلمين، ودخل المسلمون بيت المقدس يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من رجب سنة 583هـ/الثاني من تشرين الأول سنة 1187م، ورفع الأعلام الإسلامية على أسوار القدس⁴⁶. وفي يوم الجمعة التالية الموافق الرابع من شعبان سنة 583 هـ /التاسع من تشرين الأول 1187م صلى المسلمون صلاة الجمعة في بيت المقدس، وكان معهم صلاح الدين الأيوبي الذي صلى في قبة الصخرة⁴⁷.

⁴⁵ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج11، ص547.

⁴⁶ ابن شداد: النوار السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة 1962م ص89-84، العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد صبيح، القاهرة 1965م، ص126، البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق د.فتحية النبراوي، القاهرة 1979م، ص311، ابن الأثير: الكامل، ج11، ص549، أبو الفداء: المختصر، ج3، ص92-93، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، القاهرة "طبعة دار الكتب المصرية" 1963م، ص36، الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بغداد 1979م، ص145-149.

Estoire d'Eracles, p.91, Roger of Wendover, Flowers of History, Vol.2, trans. by J.A. Giles, London 1848, p.61, cf. also: Rohricht, R., Geschichte des Konigreichs Jerusalem, Innsbruk 1898, pp. 458-459, Grousset, R., Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, Vol.2, P.813, Addison, F., The History of the knights Templars, London 1842, p.131, Stevenson, W., the Crusaders in the East, Beirut 1968, p. 253

⁴⁷ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 11، ص551.

أما فيما يتعلق بالمستوطنين الأوروبيين الذين كانوا يعيشون في المستوطنات المحيطة ببيت المقدس، فقد غادروا هذه الأماكن، عند سماعهم أخبار انتصار السلطان صلاح الدين الأيوبي على القوات الفرنجية الصليبية في حطين وقيامه بفتح المدن الفلسطينية وطرد الفرنجة منها. ومن المرجح أن قوات صلاح الدين قامت بتدمير وتخريب جميع أملاك الفرنجة ومستوطناتهم في فلسطين، وقد أشار ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) -الذي زار بيت المقدس بعد طرد الفرنجة الصليبيين منها- إلى أن السلطان صلاح الدين قام بتدمير مستوطنة البيرة، بعد أن استعادها من الفرنجة⁴⁸. ويبدو أن التدمير لم يشمل معظم المستوطنة، لأنه تم العثور في البيرة على بعض المنازل والمنشآت التي ترجع إلى العصر الفرنجي الصليبي.

وهكذا بدا واضحاً أن جميع المستوطنات اللاتينية التي أقامها الفرنجة الصليبيون في الأراضي المقدسة، كان مصيرها الزوال، بفضل العمل الجاد، والوحدة التي حققها السلطان صلاح الدين، والتصميم على استرداد الأرض والحقوق المغتصبة. كذلك لاحظنا مغادرة المستوطنين للمستوطنات التي أقاموا فيها فترة من الزمن، دون إبداء أية مقاومة، وهذا دليل على عدم ارتباطهم بالأرض؛ لأنهم عنصر دخيل على المنطقة، انتهى بانتهاء الأوضاع التي سمحت لهم بالوجود في الأراضي المقدسة. ولعل كل ذلك يشير إلى أن الشعب الصامد على أرضه، سيحقق النصر ويطرد المعتدي، وأن عامل الزمن، والعمل الدؤوب، والعلم، والوحدة، والقوة الاقتصادية كفيلة بتحقيق آمال الشعوب الباحثة عن الحرية والاستقلال.

القدس في اتفاقية الرملة عام 588هـ / 1192م

⁴⁸ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، بيروت 1979م، ص526

cf. Also: Pringle, D., op. Cit., p.148.

Genevieve, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253, de Roziere, Doc. No. 136, pp. 251-252, Migne, tomus 155, No. 136, cols. 1226-1227, Rohricht, R., Regesta, Doc. No. 346, p.90]

تم توقيع اتفاقية الرملة في شهر ايلول عام 588هـ / 1192م بين السلطان صلاح الدين الايوبي والملك الانجليزي ريتشارد قلب الاسد، وقد نصت الاتفاقية على الاتي:

- 1) تستمر الهدنة بين المسلمين والفرنجة لمدة ثلاث سنوات وثلاثة اشهر.
- 2) ان تكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والفرنجة.
- 3) ان تبقى عسقلان بيد المسلمين بشرط ان تبقى خرابا.
- 4) ان يسمح للحجاج المسيحيين المرور بامان الى القدس وبيت لحم والناصره دون مطالبة المسلمين باي ضريبة مقابل ذلك.
- 5) ان تكون المنطقة الساحلية بيد الفرنجة من صور الى يافا.
- 6) ان تكون المنطقة الممتدة من يافا الى رفح بيد المسلمين.
- 7) ان تكون صور وصيدا بيد المسلمين⁴⁹.

يتضح من خلال بنود اتفاقية الرملة أن بيت المقدس بقيت بيد المسلمين مع السماح للفرنجة الصليبيين بالوصول إلى المدينة، وزيارة الأماكن المسيحية المقدسة فيها دون أية مضايقات من قبل المسلمين. وهنا تتجلى سماحة الإسلام الذي لم يمنع الفرنجة من الوصول إلى الأماكن الدينية المسيحية المقدسة.

وقد شهدت فلسطين في العهد الأيوبي احداثا هامة منها تسليم بيت المقدس للفرنجة الصليبيين بمقتضى معاهدة يافا التي وقعها الملك الكامل الايوبي مع الامبراطور فردريك الثاني في 28 ربيع الاول عام 626هـ / 25 شباط عام 1229م⁵⁰ التي تقرر

⁴⁹ العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص 6058، 608، ابن واصل، مفرج الكروب جـ2، ص 403، أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، جـ2، ص 203، الحنبلي، شفاء القلوب، ص 177. Ernoul , pp. 292-294 , cf also : Irogo , pp . 136-137, Stevenson , p. 286, Mayer , p.146

ذكر بعض المؤرخين أن السلطان صلاح الدين الايوبي وريتشارد قلب الاسد اتفقا على أن تكون الهدنة لمدة ثلاث سنوات وثمانية اشهر، انظر: العماد الاصفهاني، ص605-608، Stevenson,p.286،
⁵⁰ Estoired ' Eracles ,pp . 369, 372, Stevenson p. 311, note B, King, p 207, Tomas C. van cleve, p. 454 ,
تسلم الصليبيون بيت المقدس في بداية ربيع الأول عام 626هـ / اواخر شباط عام 1229م. انظر ابن الاثير، الكامل، جـ 12، ص 482

بموجبها عقد الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات⁵¹، وقد نصت هذه الاتفاقية على ان ياخذ الفرنجة بيت المقدس وبيت لحم والناصره ومدن ساحلية اخرى، على ان تبقى قبة الصخرة والمسجد الاقصى بايدي المسلمين، وان لا تجدد اسوار القدس وكذلك تبقى القرى المحيطة بالقدس بايدي المسلمين⁵²، ويعين والي عليها يكون مركزه في بلدة البيرة الواقعة شمالي القدس⁵³. وقد اثار تسليم القدس للفرنجة موجه سخط في العالم الاسلامي، وقد دخلها الامبراطور فردريك الثاني في التاسع عشر من مارس عام 1229م وتوج نفسه امبراطورا في كنيسة القيامة ثم عاد الى عكا ومنها الى بلاده" وحين نودي في القدس بتسليمه للفرنج ضج المسلمون بالصراخ والعيول.... فقامت القيامة في جميع بلاد الإسلام واشتدت العظام وأقيمت المآتم".

وبعد وفاة الملك الكامل محمد في رجب عام 635هـ/ آذار 1238م اخذ الفرنجة يعززون وجودهم في بيت المقدس، فأعادوا بناء قسم من أسوار المدينة المقدسة ثم عمرووا القلعة الواقعة في الغرب وحصنوا أبراجها وشحنوها بالأجناد والاعتاد، وبسبب ذلك قام الملك الناصر داود الأيوبي بحصار المدينة ونازل قلعتها وضربها بالمجانيق واجتاح المدينة في جمادى الأولى عام 637هـ/ كانون اول عام 1239م وطهره من

⁵¹ Stevenson , p. 311 , King , p. 207, Grousset, vol, 3 , p. 307

⁵² Estoired ' Eracles ,p 374 , Stevenson , p. 311 , King , p. 207, Grousset, vol, 3 , p. 307 , Conder , p. 313, Lane Poole , pp. 226-227, Duggan , pp. 225-226 .

تسلم الفرنجة الصليبيون بيت القدس ومواضع أخرى من البلاد بعد توقيع معاهدة يافا مع السلطان الايوبي الكامل محمد، وتم التفاق على أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة بايدي المسلمين وان يسمح لهم بممارسة شعائرهم دون أية مضايقات من الجانب الفرنجي الصليبي.

انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، جـ4، ص241، ابن الوردي، تنمت المختصر، جـ2، ص222م.

⁵³ ابن واصل، مفرج الكروب، جـ4، ص241.

Cf also : , Grousset, vol, 3 , p. 306 , King , p 208

الفرنج. اما قلعة بيت المقدس فقد بقيت محاصرة مدة سبعة عشر يوما واخيرا سلمت بالامان وسمح الناصر داود للفرنج بمغادرة مدينة القدس.

الخاتمة

اتضح من خلال دراسة القدس في العصر الفرنجي أن الصليبيين بسطوا سيطرتهم على المدينة المقدسة بقوة السلاح بعد مقاومة باسلة تصدى لها سكان المدينة ومن حضر إليها من باقي المدن الفلسطينية المختلفة. كذلك أشارت الدراسة إلى شراسة الفرنجة الذين قتلوا جميع سكان المدينة من مسلمين ويهود بلا هوادة، لدرجة أن المدينة أصبحت فارغة من سكانها، مما دفع بالملك الفرنجي إلى احضار مسيحيين شرقيين من شرق الاردن من اجل التغلب على النقص الحاد في سكان المدينة المقدسة.

وتعرضت الدراسة لعملية الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس والمناطق المحيطة به، كما تطرقت إلى التغييرات الادارية والدينية والديمغرافية في المدينة المقدسة التي استمرت قابعة تحت الحكم الفرنجي نحو ثمانية وثمانين عاما، فضلا عن ذلك اظهرت الدراسة تسامح السلطان صلاح الدين الايوبي عند فتحه للمدينة المقدسة، وكيف انه سمح للصليبيين بالخروج من المدينة مقابل دفع مبلغ من المال. وبينت الدراسة وضع المدينة المقدسة من خلال اتفاقيتين وقعهما المسلمون مع الجانب الصليبي وهما اتفاقية الرملة في الحادي والعشرين من شعبان عام 588هـ /الأول من ايلول عام 1192م، واتفاقية يافا عام 626هـ /1229م الحادي والعشرين من شعبان.

مصادر البحث ومراجعته

المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix
Historia Hierosolymitana. Ed. R.H.C.-H.Occ. tome IV, Paris, 1879.

- Anonymus:
Secunda Pars, Historia Hierosolimitana, Ed. R.H.C-H.Occ., tome III, Paris 1866.

- Anonymus
Gesta Francorum Iherusalem. Ed. R.H.C.-H Occ., tome II, Paris 1866.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" ترجمة الدكتور حسن حبشي، ط1، القاهرة 1958م.

-Burchard of mount Sion
A Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, London 1888.

وعد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان 1995م.

- Daniel, Russian Abbot:
The Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy Land, trans. by C.W., Wilson, In P.P.T.S., Vol. IV, London 1888.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: "رحلة الحاج الروسي
دانيل الراهب في الديار المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي وداوود أبو هدية، ط1، عمان
1992م.

-Eracles, L'Estoire d'Eracles Empereure et la conquest de la Terre
d'Outremer, R.H.C-H.Occ. tome II, Paris 1859.

-Ernoul, Le Chronique d'Ernoul et de Bernard le Treorier, ed Mas
Latrie, Paris 1871.

-Fulcher of Chartres

A History of the Expedition to Jerusalem. Tr. by Frances Rita Ryan,
(Sisiers of St. Joseph). Edited with an Introduction by Harold's Fink)
Konuville, U.S.A. 1969.

قام الدكتور زياد العسلي بترجمة كتاب فوشيه الشارترى تحت عنوان: "تاريخ الحملة
إلى القدس"، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، 1990م.

- Monitum in Bolduini III:

Historia Nicenae Vel Antiochenae Prologum, R.H.C-. H.Occ., tome
V, Paris 1869.

- Raimond d'Agiles,

Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem. Ed. R.H.C.-H.Occ.,
tome III, Paris 1866.

قام الدكتور حسين عطية بترجمة كتاب رايوند داجيل تحت عنوان: "تاريخ الفرنجة
غزاة بيت المقدس"، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990م.

- Saewulf

Pilgrimage of Saewulf to Jerusalem and the Holy Land, trans. by
Canon, Brownlow, London 1892.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب، وهي بعنوان: رحلة الحاج سايولف لبيت
المقدس والأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان
1997م.

- Translatio

Translatio Sancti Nicolla in Ventiam Ed. R.H.C.-H. Occ. tome
V, paris 1869.

- Tudebodus, P.

Historia de Hierosolymitano itinere. Ed.R.H.C.-H. Occ. tome III,
Paris 1866.

اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي بعنوان: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1998م.

- William of Tyre,
A History of Deeds Done Beyond the Sea. Tr. by Babcock and Krey, 2 Vols., New York, 1943.

2- المصادر العربية

- ابن الأثير (ت 630هـ/1233م) أبو الحسن علي ابن أبي الكرم الملقب عز الدين: الكامل في التاريخ، 12ج، بيروت 1966.
- ابن جبير (ت 614هـ/1217م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي: رحلة ابن جبير (تذكرة الأخبار، عن اتفاقات الأسفار)، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن الجوزي (ت 597هـ/1201م) عبدالرحمن بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 10 ج، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن 1358هـ/1939م.
- ابن الراهب (ت 681هـ/1282-3م) أبو شاکر بن أبي الكرم بن المهذب: تاريخ ابن الراهب، عني بنشره الأب لويس شيخو، بيروت 1903م.
- ابن طولون (ت 953 هـ/1546م) محمد بن علي بن أحمد الصالحي الحنفي: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، ج2، تحقيق محمد دهمان، دمشق 1949 م.
- ابن العبري (ت 685هـ/1286م) جريجوريوس أبو الفرج أهارون الملطي: تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، المطبعة

- الكاثوليكية، بيروت 1958م.
- ابن القلانسي (ت555هـ/1160م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد:
ذيل تاريخ دمشق، بيروت "مطبعة الآباء اليسوعيين" 1908م.
- ابن كثير (ت774هـ/1273م) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر.
البدائية والنهاية في التاريخ، ج14، في سبعة مجلدات/ بيروت 1966م.
- ابن منقذ (ت584هـ/1188م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد:
كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتي، الولايات المتحدة الأمريكية "برنستون" 1930م.
- ابن الوردي (ت749هـ/1349م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر:
تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدرابي، ط1، دار
المعرفة، بيروت، 1970م
- أبو شامة (ت665هـ/1267م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان شهاب الدين:
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، بيروت بدون تاريخ.
- أبو الفداء (ت732هـ/1331م) اسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة:
المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء، تحقيق محمد زينهم عزب ويحيى سيد حسين، دار
المعارف، القاهرة 1998م.
- البنداري (ت622هـ/1225م) الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني:
سنا البرق الشامي، تحقيق د. فتحية النبراوي، دار اللواء، الرياض، 1989.
- السلامي (تاريخ الوفاة غير معروف) شهاب الدين أحمد:
مختصر التواريخ، دار الكتب المصرية رقم 9051 ح.
- المقدسي البشاري (ت375هـ/985م) شمس الدين أبو عبد الله:
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن 1906م.
- ناصر حسرو (ت281هـ/1088م)
سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت 1970
- النويري الكندي (ت732هـ/1332م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:
نهاية الأرب في فنون الأدب، ج19، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1975م.

- ياقوت الحموي (ت626 هـ/1228م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله:
1. معجم البلدان، 5ج، بيروت1979 م.
2. المشترك وضعاً والمفترق صقعا، جوتنجن 1846م.

3- المراجع الثانوية الاجنبية

- Archer, T.H., and Kingsford, C.L., -
The Crusades: "The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem",
London 1914.
- Conder, C.R.,
The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291 A.D., London 1897.
- Edbury, P.W.,
William of Tyre; A Historian of the Crusades and the Kingdom of
Jerusalem (1130-1184) in Bulletin of the Faculty of Arts in
Alexandria University 1988.
- Grousset, R.,
Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3
Vol.s, Paris 1948,

- Hagenmer, H.,
Chronologie de La Premiere Croisade, 1094-1100, in Revue de
l'orient Latin, Vols. 6-8, 1902-1911.
- Hamilton, B.,
The Latin Church in the crusader states, London 1980.
- Richard J.,
The Latin Kingdom of Jerusalem, 2Vols., trans. from the original by
Jenat Shirly, Amsterdam 1979.
- Riley Smith.,

The Title of Godfrey of Boullion, in Bulletin of he Institute of Historical Research, Vol. L11 1979, PP.85-86.

- Stevenson, W.B.,

The Crusaders In the East, Beirut 1968.

4- المراجع الثانوية العربية والمعربة

- أمين معلوف الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، ط2، دار الفارابي، بيروت 1998م

- جوزيف نسيم يوسف العرب والروم اللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط2، الاسكندرية 1967م.

- جونز، أ.هـ.م مدن بلاد الشام، ترجمة احسان عباس، ط1، دار الشروق، عمان 1987م.

- حسن عبد الوهاب حسين مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي زمن الحروب الصليبية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999م.

- سعيد عبدالله جبريل البيشاوي:

1- نابلس (الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية) ط1، عمان 1991م.

2- الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الفرنجية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990م

- سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط2، دمشق 1975م.

- السيد الباز العريني مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة 1962م

- عارف باشا العارف المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس 1961م
- عبد الحميد زايد القدس الخالدة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1974م
- علي السيد علي: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، ط1، القاهرة 1996م.

- محمد شراب معجم بلدان فلسطين، ط1، بيروت 1987.
- محمد كرد علي: خطط الشام، ج4، ط2، دارا العلم للملايين، بيروت 1971م.
- يوشع براور: عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، ط1، القاهرة 1981م

الدوريات

- شاكر مصطفى: آل قدامة في الصالحية، حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت، الحولية رقم 3، الكويت، 1982م.